من قبل أن أخلع ثوب الحياء، في طاعة الشيخ أبي مُرّة

فقال له القاضي قد سمعتَ ما عزته إليه، وتوعّدتك عليه ما عراك، وحاذِر أن تفرك وتعرك، فجثا الشيخ على ثفناته، وفجّر ينبوع نفثاته، وقال:

إسمع عداك الذمّ قول امرئ ... يوضح فيما رابها عذره

والله ما أعرضت عنها قلًى ... ولا هوى قلبي قصا نذره

وإنما الدهر عدا صرفه ... فابتزّنا الكثرة والدرّة

فمنزلي قفر كما جيدها ... عطل من الخرزة والشذرة

وكنت من قبل أرى في الهوى ... ودينه رأي بني عذرة

مذ ساءني الدهر هجرت الدمى ... هجر أخٍ عفّ أخا حذره

وملت عن حرثي لا رغبة ... عنه ولكن أتّقي بذره

فلا تلم من هذه حاله ... واعطف عليه واحتمل هذره

قال فالتظت المرأة من مقاله، وانتضت الحجج لجداله، وقالت له ويلك يا من هو لا طعام ولا إطعان، أتضيق بالولد ذرعا، ولكل أكوله مرعى

لقد ضلّ فهمك، وأخطأ سهمك، وسفهت نفسك، وشقيت بك عرسك

فقال لها القاضي أمّا أنت فلو جادلت الخنساء، لأنست عندك خرساء، وأمّا هو فإن كان صدق في زعمه، ودعوى عدمه، فله في همّ قنعه، ما يشغل عن ذنبه، فأطرقت تنظر إليه ازورارا، ولا ترجع حوارا، حتى قلنا قد أحجمها الخفر، أو حاق بها الظفر، فقال لها الشيخ تعسا لك، أن زخرفت، أو كتمت ما عرفت، فقالت ويحك وهل بعد المنافرة كتم، أو بقي لنا على سرّ ختم، وما فينا إلا من صدق، وهتك صونه إذ نطق، فليتنا لا قفينا البكم، ولم نلق الحكم، ثم انتفعت بوشاحها، وتباكت لافتضاحها، وجعل القاضي يعجب من خطبهما ويعجب، ويلوم لهما الدهر ويؤنّب، ثم أحضر من الورق ألفين، وقال أرضيا بهما الأجوفين، وعاصيا النازغ بين الإلفين، فشكراه على حسن السراح، وانطلقا وهما كالماء والراح، وطفق القاضي بعد منسرحهما، وتنائي شبحهما، يثني على أدبهما، ويقول هل من عارف بهما، فقال له عين أعوانه، وخالصة خلصائه، أمّا الشيخ فالسروجي المشهور بفضله، وأمّا الفتاة فقعيدة رحله، وأمّا احتيالهما فمكيدة من فعله، وأحبولة من حبائله